# ٦ ـ محاورات أفلاطون

## الحوار الثانى

# كريتون أو واجب المواطن[1]

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون
مكان الحـــوار : سجن ســـقراط

سقراط ـ ماالذى أتى بك الساعة يا كريتون ؟ إنها الآن جد باكرة

كريتون ـ بلى إنها لكذلك

سقراط ـ كم هى على التحديد ؟

كريتون ـ الفجر فى البزوغ

سقراط ـ عجيب أن يأذن لك حارس السجن بالدخول

كريتون ـ إنه يعرفنى يا سقراط لأننى جئت مراراً ، ولأننى فوق ذلك ذو فضل عليه

سقراط ـ أجئت الآن توا ؟

كريتون ـ كلا بل جئت منذ حين

سقراط ـ إذن فما الذى أجلسك صامتاً ، وكان أخلق بك أن توقظنى على الفور ؟

كريتون ـ حقاً يا سقراط إنى لم أكن لأرضى لنفسى كل هذا الغم والأرق ، ولكنى أخذت بالعجب أن رأيتك فى نعاس هادئ ، فلم أرد لهذا أن أوقظك ، وآثرت لك أن تظل بعيداً عن الأسى ، لقد عرفتك دائماً سعيداً بما لك من مزاج هادئ ، ولكنى لم أر الدهر ضريبا لك فى احتمالك لهذا المصاب مستخفاً باسماً

سقراط ـ إن الانسان يا كريتون إذا عمر ما عمرت فلا ينبغى له أن يجزع من شبح الموت

كريتون ـ ولكن سواك من الكهول ، إذا ما نزلت بهم أشباه هذه الكوارث لا يمنعهم الهرم من الجزع

سقراط ـ قد يكون ذاك ، ولكن هلاّ حدثتنى عما أتى بك فى هذه الساعة الباكرة ؟

كريتون ـ أتيت أحمل نبأ مؤلماً يبعث على الشجن ، لا بالنسبة إليك فيما أظن ، بل بالنسبة لنا جميعاً ـ نحن أصدقاءك ـ وهو عندى أبلغ ما يكون إيلاما

سقراط ـ ماذا ؟ أحسب أن قد عادت السفينة من ديلوس[1] ووصولها نذير بموتى ؟

كريتون ـ كلا ، لم تبلغنا السفينة بعد ، ولكنها ربما وصلت اليوم ، فقد أنبأنى أناس جاءوا من صونيوم ، أنهم خلفوها هناك ، واذن فآخر يوم من حياتك يا سقراط هو الغد

سقراط ـ مرحى يا كريتون ، إن كانت هـــذه إرادة الله فمرحباً بها ، ولكنى أعتقد أن ستؤجل الأمر يوماً آخر

كريتون ـ ومن أنبأك هذا ؟

سقراط ـ هاك الخبر . إنى بالغ أجلى فى اليوم التالى لوصول السفينة

كريتون ـ نعم ، وهذا ما يزعمه أولو الأمر

سقراط ـ ولكنى لا أظن السفينة بالغتنا إلا غداً . عرفت ذلك من رؤيا رأيتها ليلة أمس ، بل كنت أراها الآن توا ، حين تركتنى ـ لحسن حظى ـ نائماً

كريتون ـ وكيف كانت رؤياك تلك ؟

سقراط ـ جاءتنى شبيهة امرأة جميلة وسيمة ، تدثرت بثوب أبيض ، وصاحت بى قائلة : ياسقراط ، إنك ذاهب إلى أخراك فى اليوم الثالث عداً من الآن

---

(١) لايعلم على وجه الدقة إن كان هذا الحوار قد وقع بهذا النص الذى أثبته أفلاطون أم اخترعه اختراعاً ، ومهما يكن من أمر فقد صور أفلاطون سقراط فى هـذا الحوار ، لا فى ردائه الفيلسوف الذى يؤدى فى حياته رسالة الهية ، ولكن فى صورة ابن الوطن الصالح الذى يقبل على الموت رضى النفس مطمئن الضمير ، تنفيذاً لقوانين الدولة ، التى يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت فى قضائها جائرة كما هى الحال فى قضيته

(١) قد كان للأثينيين شهر حرام ، يعتنع فيه إعدام المجرمين ، وهو شهر كانت تمضى فيه سفينة مقدسة إلى معبد ديلوس ، ثم تعود ثانية ، فلم يكن يجوز أن ينفذ الموت فى احد من أبناء أثينا ما دامت تلك السفينة فى رحلتها تلك . ولذلك كان لابد لسقراط بعد الحكم عليه أن يظل فى سجنه حتى تعود السفينة

كريتون ـ ما أعجبه من حلم ياسقراط !

سقراط ـ معناه ظاهر يا كريتون ، وليس فيه مجال للريب

كريتون ـ نعم إنه جلي غاية الجلاء ، ولكن ، أواه ! ياعزيزي سقراط ، دعني أتوسل اليك مرة أخرى ، أن تأخذ بنصحي فتعمد إلى الهروب ، لأنك إذا مت فان أفقد فيك صديقاً فريداً وكفى ، ولكن ثمت فوق ذلك شراً : سيزعم من لا يعرفك ولا يعرفني من الناس أني كنت أستطيع لك النجاة لو أني رغبت في بذل المال ، ولكنني لم أعبأ بك ، أفيمكن أن يكون بعد هذا العار عاراً ـ أن يقال إني آثرت المال على حياة صديق ؟ وهيهات أن يقتنع الدهماء بأني أردتك على الفرار فرفضت

سقراط ـ وفيم العناية بحديث الدهماء ياعزيزي كريتون ؟ سترى الفئة العالمة في ذلك رأياً صواباً يطابق ما وقع ، وهي وحدها جديرة بالاعتبار (١)

كريتون ـ ولكنك ترى ياسقراط أن رأي الدهماء لا بد من اعتباره وذلك ظاهر في قضيتك أنت ، ففي مقدورهم أن ينزلوا أفدح المحن بمن لم يظفر عندهم بالرضى كائناً من كان

سقراط ـ ليتهم يستطيعون ذلك يا كريتون فذلك كل ما أرجوه ، إذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير ، فيكون ذلك منهم جميلاً . ولكنهم في حقيقة الأمر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء ، وليس في مقدورهم أن يصيّروا الرجل حكيما أو فدماً ، وكل أفعالهم وليدة المصادفة

كريتون ـ نعم ولست منازعك في ذاك ، ولكن هلاّ تفضلت فأنبأتني ياسقراط — إن كنت لا تغض النظر عني وعن سائر أصدقائك فيما تصرف من الأمر — : ألست تخشى أنك إن فررت من هذا المكان فقد يصيبنا النمامون بالضر بسبب اختطافك ، وإنا قد نفقد أملاكنا كلها أوجلها ، أو قد ينزل بنا من الشر ما هو أشد من ذلك هولاً ؟ فليطمئن قلبك إن كان ذلك ما تخشاه ، فواجب حتم علينا أن نخاطر بهذا ، وبما هو أعظم من هذا في سبيل نجاتك ، فاقتنع إذن بما أقول ، وافعل بما أشير

سقراط ـ نعم يا كريتون ، وليس هذا الذي ذكرته كل ما أخشى ، وإن يكن جانباً منه

كريتون ـ لاتخف . إن هناك نفراً يود لو ينجيك فينتزعك من غياية السجن ، ولن يكلفهم ذلك شططا ، أما النمامون فهم كما ترى لا يشتطون في الطلب ، ويقنعهم من المال قليله . إن مالي بأسره رهن إشارتك ، وهو كاف فيما أعتقد ، فان أشفقت أن ينفد كله ، فهاهم أولاء نفر من الغرباء يعدونك بما يملكون ، وهذا أحدهم سمياس الطيبي قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغاً من المال . وذلك سيبيس وغيره كثيرون ، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم ، إذن فلا تحسب لذلك حساباً ، ولا تتردد في تنفيذ الفرار . ولا تقل كما قلت في المحكمة إنك لاتدري ماذا عساك أن تفعل بنفسك إن فررت ، فأني حللت نزلت من الناس منزلاً كريماً ، وليس لذلك قاصراً على أثينا ، فثمت في تساليا ستجد من أصدقائي حماية وتقديراً إن أحببت الذهاب اليهم ، ولن تصادف بين بني تساليا جميعاً فرداً يصيبك بالأذى ؟ ولست أرى بعد هذا كله ما يبرر لك ياسقراط أن تفرط في حياتك ، والنجاة ميسورة مستطاعة . إنك لتلعب بنفسك في أيدي أعدائك وقاتليك ، بل إني لأزعم فوق هذا أنك إنما تسيء الى أبنائك ، لأنك آثرت أن ترتحل تاركهم لما قسمت لهم حظوظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشيئهم وتربيتهم ، فان لم يصبهم ما يصيب اليتامى عادة من قضاء ، لما استحققت عندهم من الشكر إلا قليلاً ، فليس لانسان أن يقذف في العالم بأطفال لايحب أن يستميت حتى النهاية في إطعامهم وتربيتهم ، ولكنك تختار أيسر الأمرين ، فيما أظن ، لا أحسن الأمرين وألصقهما بالرجولة ، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة في أفعاله جميعاً . حقاً إني لأستحي منك بل من أنفسنا نحن أصدقاءك ، كلما دار بخلدي أن قصتك هذه جميعاً ، ستنسب الى نقص في بسالتنا ، فما كان ينبغي أن تكون المحاكمة ، أو كان يجب أن تختم بغير ما اختتمت به ، وهذه النهاية التي أراها أسوأ العبث ، ستبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحاً ، لما أبديناه من ضعة وخور ، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك ، كما كان بوسعك أن تنجو بنفسك ، لو كنا نملك لأي شيء نفعاً ( إذ لم

(١) يعبر سقراط في هذا عن رأيه الذي أخذ به في حياته ، وهو ألا يعير رأي الناس التفاتا ، وألا يصغي إلا إلى ما يمليه العقل الحكيم دون سواه كائناً ما كان وقعه عند الناس

يكن الفرار أمراً عسيراً ) وسيُظن بسقراط أنا لم نقدر أن ذلك كله سينقلب علينا وعليك بؤساً وعاراً ، ففكر إذن فى الأمر إن لم تكن قد اعتزمت بعد شيئاً ، فقد انقضت فرصة التفكير ولم يعد لديك إلا أمر واحد يجب إنجازه هذا المساء ، لو كنت تريد له إنجازاً ، فان أرجأت أمرك تعذر واستحال ، وعلى ذلك فأنا أتوسل اليك يا سقراط أن تسلس لى القياد وأن تفعل بما به أشير

سقراط ـ أى عزيزى كريتون ! ما أعز حماسك وما أنفسه ، لو كان فى جانب الحق ، أما إن كان للباطل فكلما ازداد الحماس اشتعالاً ازداد الأمر سوءاً ، فلننظر إذن إن كانت هذه الأعمال واجبة الأداء أم ليست كذلك ، فقد كنت دائماً ، وما أزال ، من تلك الطبائع التى تلتزم دليل العقل ، كائناً ما كان رأيه ، مادام يبدو عند التفكير أنه الرأى الأمثل . أما وقد أصابتنى هذه المحنة فلايسعنى أن أهمل الآن ما ارتأيته قبلاً ، فما زالت مبادئى التى طالما أجللتها وقدستها ؛ تنزل عندى منازل الاجلال والتقديس[1] . فثق أنى لن أظاهرك فى الرأى ، اللهم إلا إذا اهتدينا الآن إلى مبدإ يكون خيراً منها . نعم ، لن أصغى إليك حتى ولو زادنى الدهماء حبساً ومصادرة وموتاً ، ملقين فى نفوسنا من أراجيف الشياطين الفزعة ما نرهص به الأطفال ، فأى سبل التفكير أهدى إلى بحث هذا الموضوع ؟ أعَوْداً إلى رأيك الذى سُقته من قبل عما يقول الناس عنا ، وبعضه يستحق الاعتبار دون بعض كما سبق لنا القول ؟ أكنا نصيب لو أننا أخذنا برأيك ( وهو أن يقام وزن لما يقول الناس ) قبل الحكم بالأدانة ؟ أم هل ينقلب الرأى الذى كان صائباً حيناً ما ، كلاماً لمجرد الكلام ، ويتبين أنه لم يكن فى الواقع إلا عبثاً اتخذ سبيلاً للتسلية واللهو ؟ ابحث معى هذا يا كريتون : أترى أن لم يعد منطق الذى اتخذته أولاً يلائم على أية حال ما يكتنفنى الآن من ظروف ، أم لست ترى الأمر كذلك ؟ ثم هل هو حقيق عندى بالرفض أم بالقبول ؟ إن كثيراً ممن يزعمون لأنفسهم رجاحة الرأى يذهبون فيما أعتقد إلى هذا الذى أشرت اليه من قبل ، وهو أن من الناس بعضاً يجدر بآرائهم الاعتبار ، وأما بعضهم الآخر فلا يصح أن يؤبه له . وأنك يا كريتون لست مقبلاً غداً على موت ، أو ليس هناك احتمال بشرى بهذا على الأقل ، فأنت إذن حَكَمٌ صالح ، لايؤثر فيك الهوى ولا تميل بك ظروفك وموقفك عن جادة الحق . حدثنى إذن : ألستُ مصيباً فيما أزعم ، بألا نقدر من آراء الناس إلا بعضها فقط ؟ لقد أخذتُ بهذا الرأى ، وأنا أسائلك هلاّ ترانى قد أصبت فيما ارتأيت ؟

كريتون ـ ليس فى ذلك ريب

سقراط ـ ألا يجب أن نحفل بما يقوله أبرار الناس دون شرارهم ؟

كريتون ـ بلى

سقراط ـ وما يرى الحكماء فهو خير ، وما يرى غير الحكماء فهو شر ؟

كريتون ـ لا شك فى ذلك

سقراط ـ لننظر ما قيل فى غير هذا الموضوع ، هل يطلب إلى طالب التمرينات البدنية أن يصغى إلى القدح والثناء ، والى رأى كل انسان فيه ، أم يجب أن يستمع الى رأى رجل واحد فقط — هو طبيبه أو مدربه كائناً من كان ؟

كريتون ـ إنه يستمع الى رأى رجل واحد فحسب

سقراط ـ أينبغى أن يخاف اللوم وأن يرحب بالثناء يوجهه ذلك الرجل وحده ، وألا يأبه للوم الناس ومدحهم ؟

كريتون ـ بدهى ما تقول

سقراط ـ ويجب أن يعيش ويُدَرّب ، وأن يأكل ويشرب ، على نحو ما يبدو صالحاً لذلك المعلم الأوحد ، وهو عليم بأمره ، فذلك أجدى من السير تبعاً لما يراه سوى معلمه من الناس ولو كانوا أجمعين ؟

كريتون ـ هذا حق

( يتبع )

زكى نجيب محمود

---

(١) يشير سقراط بهذا الحديث إلى المحاورات الكثيرة التى عقدها هو وأصحابه قبل محاكمته حول ما يجب على الانسان من حيث علاقته بالمجتمع ، وكانوا قد انتهوا من تلك المحاورات إلى طائفة من المبادئ أقروها جميعا ، وخلاصتها أنه لا يجوز لانسان أن يفعل الشر ، أو أن يرد الشر بالشر ، أو أن ينقض الحق مهما كانت الظروف . فهو هنا لا يرضى لنفسه أن يهدم تلك المبادئ التى أقرها هو ومحاوروه بحجة أن ظروفه تقضى منه ذلك